

نبويات شعراء العربية لشبه القارة في العصر الحديث

نبويات شعراء العربية لشبه القارة في العصر الحديث

تحليل موضوعي

بقلم الدكتور عبد الكبير محسن *

إن بقاع شبه القارة باكستان والهند وبنجلاديش، عمرت وما زالت بكل فرع من العلوم الإسلامية والفنون العربية حيث انتبه إليها أبناءها فأكبوا عليها وأحاطوا به إحاطة شاملة، وساهموا في نشرها وتنقيحها وشرح غموضها وتفصيل موجزها وتلخيص مطولها فلم يتركوا شعبا إلا وخاضوه ولا عقبة إلا واقتحموها، ولو ألقينا نظرة عابرة على فهارس ما جادت به أقلامهم وسمحت به قرائحهم يتجلى لنا فضلهم وعلو كعبهم في تلك العلوم والفنون، وإن كان معظم أعمالها ما زالت وراء الحجاب منتظرة من يكشفه عنها ويتناولها دراسة وتنقيدا وتقييما وخاصة ما يتعلق بمجالي النثر الفني والشعر العربي، ولهم فيهما نشاطات تستحق الذكر والتناول العلمي، وإن كانت العنقاء قد طارت بكثير من جهودهم النظرية والشعرية خلال فترات الاضطراب والفوضى، فضاقت أكثر هذه الجهود ولم يعرف خبرها، والسبب الثاني لاختفاء إنتاجهم الأدبي عدم اهتمام أصحابه بنشره وإطلاع الناس

* أستاذ الأدب العربي المشارك في كلية اللغة العربية بالجامعة الإسلامية

نبويات شعراء العربية لشبه القارة في العصر الحديث

عليه، لأنهم لم يجدوا أسبابا لنشره وكان هدف أكثرهم المتعة الذاتية، بما ينتج أدبا، فكم من جوهر بقي في صدفه ولم يستخرج وكم من لؤلؤة تمرغت في التراب، وكم من معدن اختفى ولم يعثر عليه أحد¹.

فكل ما يسر لنا من تحصيل قصائدهم في المدح النبوي، أكبنا عليها وحللناها تحليلا موضوعيا، فوجدناها تتناول أكثر أطراف السيرة النبوية العطرة فهذا ما عنى به هذا المقال.

أما بالنسبة للمنابع التي وردوا عليها واستقوا منها ورووا بها هذه المدائح فهي مصادر سيرة النبي ﷺ، ولا سيما القرآن والسنة وكتب السيرة النبوية.

يحظى هؤلاء الشعراء بحظ كبير من العلوم الدينية وأكثرهم اشتهر بالحدافة فيها واشتغل بتدريسها من شب إلى دب فكانت لمهاراتهم هذه انعكاسات في مدائحهم النبوية، ويتجلى هذا الأمر كل التجلي حين نطلع على أمثلة من شعرهم تأخذ مضمونها من القرآن والحديث وثمة منبع ثالث استمدوا منه وذلك خيالهم الرفيع المزود بحب النبي ﷺ، والشعور بعظمته وجلالة رتبته لكن لم يجعلهم هذا الحب يطرون الرسول ﷺ، كما أطرت النصارى المسيح بن مريم عليه السلام، فلم ينحرفوا عن جادة الاعتدال في الأغلب الأعم، وإنما قيدوا خيالهم بقيود الكتاب والسنة، ولا نجد مدحهم يخبط خبط عشواء

¹ - الحمد لله على أنه وفق البعض للقيام بهذه المهمة النبيلة وطالما انتظرتهم أمثال عبد الحي الحسيني في نزاهة الخواطر، والدكتور زبير أحمد في رسالة الدكتوراه والباحثين في العديد من الجامعات في رسائلهم لمرحلتي الماجستير والدكتوراه.

نبويات شعراء العربية لشبه القارة في العصر الحديث

فركزوا على إبراز صفات ومحاسن الممدوح الكريم، التي وجد لها أثر في المصادر النبوية ونحن راعيناها في سرد النماذج ترتيباً زمنياً لحياة الممدوح ﷺ، فنبدأ بذكر مولده المبارك والأحوال التي كان فيها هذا المولد.

نبويات شعراء العربية لشبه القارة في العصر الحديث

الموضوع الأول

مولد الرسول وبيان الأحوال التي تسبق بعثته وما جرى من

تغيرات في المجتمع أثر النبوة

إن الله تعالى اصطفى سلالة كريمة لبعثة الرسول الخاتم الأ
وهي سلالة هاشم التي تشهد بمجدها الأقارب والأباعد، وقد أقر بذلك
كفار مكة حين سألهم الرسول بعد فتح مكة ما تظنون بي إنى فاعل
بكم، فقالوا كريم وابن كريم، فيقول أحد الشعراء^١:

سلالة عبد الله من آل هاشم يتيما وقد رباه حجر حليلة

تناثرت الأبيات في قصائد مختلف الشعراء ملقبة الضوء على
أحوال الناس السيئة وما أصابهم من غي وضلال، وما اتصفوا من
عادات قبيحة وأخلاق رذيلة، قال بعض الشعراء:

لقد جاء الناس في قعر ظلمة ضلال وإشراك وفي كل باطل^٢.

^١ - وهو عبد المنان الدهلوي، أقرأ القصيدة في مجلة الرشيد العدد الخاص
بالمدائح النبوية بثلاث لغات العربية والأردية والفارسية، صدرت بـ
باكستان سنة ١٤١١هـ، صفحة ١٥٩.

^٢ - البيت لعزير الحق من شعراء بنجلاديش وعلمائها المعاصرين، أنظر
مقدمات ارشادية ومناقب عنائيتة لمقصود أحمد عمري صفحة ٤٨٤.

نبويات شعراء العربية لشبه القارة في العصر الحديث

وفي بائية الشاه ولي الله المعروفة بـ"أطيب النغم في مدح سيد العرب والعجم"^١ أبيات عديدة تصف المجتمع، وإليكم بعضها:

أتانا مقيم الدين من بعد فترة وتحريف أديان وطول مشاغب
فيا ويل قوم يشركون بربهم فيهم صنوف من وخيم المثالب
ويا ويل قوم حرفوا دين ربهم وافتوا بمصنوع لحفظ المناصب
إلى أن قال:

فأدركهم في ذاك رحمة ربنا وقد أوجبوا منه أشد المعائب
فأرسل من عليا قريش نبيه ولم يك فيما قد بلوه بكاذب

وفي نفس الموضوع قصيدة للشيخ عبد الرحمن كمبيل بوري
١٩٥٣م، وقد فصل بذكر التقلب الجذري الذي حدث بسبب نبوة
رسولنا ﷺ، إقرأها في مجلة الرشيد صفحة ٣٥٧.

إلى غيرها من الأشعار التي تنطب بذكر سيئات المجتمع
العربي، وقتذاك وفي تلك الأحوال أشرقت الأرض بنور ربها بظهور
الرسول ﷺ، وللشاعر البروفيسور محمد حسين إقبال^٢ قصيدة
بعنوان مولد النبي ﷺ، يقول في مطلعها:

في بيت آمنة المبارك أشرقت شمس الضحى فأضاء كل مكان

^١ - طبعت هذه القصيدة مع الشرح، كما أن صاحب نزهة الخواطر سردها
بكاملها انظر نزهة الخواطر ٤١٢/٦.

^٢ - أنظر القول السديد مجلة علمية وأدبية لشهر أكتوبر سنة ١٩٩٢م صفحة

نبويات شعراء العربية لشبه القارة في العصر الحديث

ولكن سرعان ما تقلبت الأيام وتبدلت هذه السيئات بالحسنات
والرذائل بالفضائل ببركة الرسول وجهده المبارك، وعن هذا التغيير
تحدث المفتي جميل أحمد التهانوي في إحدى مدائحه قائلا:

ذو الكيماء بنظرة إذ فاسق هو مقتدى لما أتاه لقاء
قوم لهم ظلم وقهر قبله أمسوا لكل إنهم إخاء
قوم على الأقوام منهم غارة فكأنهم آباء أو أبناء^١

^١ - أنظر مجلة الرشيد السابق ذكره صفحة ١٣٨.

نبويات شعراء العربية لشبه القارة في العصر الحديث

وكانت للرسول ﷺ، جولة لمهمة التبليغ إلى الطائف يدعو

أهلها إلى الإسلام وإلى هذا تشير الأبيات التالية:

أتى طائفا يدعو إلى دين ربه ويرجو لأهلها لعون مؤمل

ولكن أتوه بالجفاء وغدره وجور وإيلام وجرح مقتل¹

وقد نال هذا الموضوع نعيبا وأفرا من شعر هؤلاء القوم.

¹ - الأبيات لعزير الحق.

نبويات شعراء العربية لشبه القارة في العصر الحديث

الموضوع الثالث

صفات خلقية وخلقية، كان الرسول متصفا بها

ما يتعلق بهذا الجانب من سيرة الرسول ﷺ، فقد أطنب الشعراء بذكر صفاته الكريمة وتناولوها مفصلا فيرى المطالع في هذه المدائح أنها تنهمر في ذكر جماله الظاهر والباطن، والجدير بالذكر أن شعراءنا بصدد وصف جمال الرسول يتبعون لما ورد في القرآن الكريم والسنة ويتناولون تلك المظاهر الكونية التي وقع بها تشبيه الرسول منها: "سراج في قوله تعالى ﴿سراجا منيرا﴾^١ قال الشاعر:

سراج منير كشمس الضحى وخير البرايا ونور قديم^٢

كما أنهم يشبهونه بالقمر وبالبدر وبطلوع الفجر، كما يقول:

ووجهه كطلوع الصبح متقلقا فالأرض نائرة والقاع والقتل^٣

قرض العلامة محمد يوسف البنوري قصيدة تشمل ٧٣ بيتا ذكر فيها الكثير من شمائل النبي ﷺ، ووصف أعضائه الظاهرة كقوله: ومعظم هذه الشمائل اقتبسها مما رواه الترمذي في شمائله.

^١ - من قوله تعالى ﴿وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا﴾ سورة الأحزاب آية ٤٦.

^٢ - من قصيدة الشيخ محمد إدريس الكاندهلوي عد فيها أسماء النبي ﷺ مقتبسا من كتب الحديث أقرأها في مقدمة حواشية على مقامات الحريري صفحة ٣.

^٣ - من قصيدة عبد المنعم الدويهي حواشية على مقامات الحريري صفحة ٣.

نبويات شعراء العربية لشبه القارة في العصر الحديث

هو أدعج كحل العيون وأبلج أقنى ازج وأهدب اشفارا
طلق الحبين إذا تبسم ضاحكا فاقت أسارير الجمال نضارا^١

وفي ذكر صفات النبي ﷺ، التي نطق بها القرآن والسنة
قصيدة قرضا العلامة أنور شاه الكشميري يقول في مطلعها:

شفيح مطاع نبي كريم قسيم جسيم بسيم وسيم

أما الصفات الخلقية والمعنوية فقد ذكر القرآن والحديث تفصيل
هذه الصفات التي فطر الله نبيه عليها فاقتبسها هؤلاء الشعراء وزينوا
بها شعرهم وخرطوها في سلك نظمهم فبنت هذه المادة العشرية
المتوفرة لدينا تحتوى على مغزي هذه الروايات وخلصتها ومما
اهتموا بها اهتماما خاصا صفات الجود والفصاحة والشجاعة والخلق
ولبعضهم في موضوع السمائل النبوية والصفات المعنوية قصائد
مستقلة، منها قصيدة العلامة أنور شاه الكشميري وهي تشتمل على
٧٨ بيتا ومطلعها:

أجابت دموعي إذ دعوت تحيرا وجارت عيوني بالعيون تغزرا^٢

ومنها قصيدة الشيخ محمد إدريس الكاندهلوي وكل بيت منها
يجمع في طيه صفات ذكر لرسولنا في القرآن والسنة لكم نبذة منها:

١- أنظر مجلة "البيئات" الصادرة في شهر يناير - فبراير ١٩٧٨م صفحة
٢١١.

٢- اقرأ هذه القصيدة في آخر شرحه فيض الباري على صحيح البخاري.

نبويات شعراء العربية لشبه القارة في العصر الحديث

بشير نذير ومدثر
رسول مبین رشید حلیم
وطه ويس ومزمل
نجى الإله بصوت وخيم
إلى أن قال:

هو الأحسن الأجود الأشج
أغر الجبين جميل وسيم
هو الأبيض الأبلج الأدعج
جليل المشاش مليح قسيم
بشارة عيسى ووعظ الكليم
دعاء إبراهيم عند الحطيم^١

وعلى نفس المنوال نظم عبد العزيز خالد من الشعراء المعاصرين قصيدة بالأسلوب الحر ومما يزين هذه القصيدة أنه استعمل سبعا وستين صيغة من صيغ المبالغة في وصف كمال صفاته الظاهرة والباطنة وإيكم بعض الأسطر الشعرية:

هو أحسن الناس صوتا وخيرا وحالا ووجها:
هو أمكن الناس مجدا.
هو أهنأ الناس طبعاً.
هو أبين الأنبياء هو أخطب الأنبياء خطاباً هو أشرف الأنبياء نصاباً.

طليق الملامح كثير الطلاوة كريم المناسب رفيع الجوانب.
من الله نورا وسراجاً منيراً^٢.

^١ - أنظرها في مقدمة حاشيته على المقامات الحريية.

^٢ - مجلة الرشيد، العدد ١٩٠، © rasailojaraid.com

نبويات شعراء العربية لشبه القارة في العصر الحديث

وفي نفس المجال قصيدة الشيخ محمد موسى بازي الروحاني
وقد جمع فيها أكثر من خمس مائة اسما صفاتيا للممدوح الكريم، وهذا
يدل على سعة اطلاعه على المراجع الإسلامية وقدره بيانه، وتتكون
القصيدة من مائة وتسع وستين بيتا يقول في مطلعها:

حمدت الله رب العالمينا على النعماء حمد المخلصينا^١

^١-المرجع السابق صفحة ٣٦٠.

نبويات شعراء العربية لشبه القارة في العصر الحديث

الموضوع الرابع المعجزات

عثرنا بالنسبة لهذا الموضوع على إنتاج غزير من شعر هؤلاء الشعراء وقد تقدم أحدهم وفصل بذكر معجزات رسولنا ﷺ، وله بهذا الخصوص قصيدتان مستقلتان في بيان المعجزات تعرف إحداهما بـ"لامية المعجزات" عدد أبياتها ٣٨٥ بيتا ذكر فيها مائة معجزة للرسول ﷺ، والثانية هي "بائية المعجزات" وتحتوى على ١٩٨ بيتا، أما الشاعر فهو الشيخ حبيب الرحمن العثماني من مشهوري علماء شبه القارة ومدير دار العلوم ديوبند في زمانه يقول في البائية:

جمعت في النظم من إعجازه مائة أخرى على ما تراها صفوة نخبا
جواهر نضدت در منظمة على نفيس يريك الدر مختلبا^١

ولكم بيتان من لاميته في ذكر معجزة القرآن:

أظهر الآيات من نشأ الهدى فاستقام الميل وانسد الجلل

هاك قرآنا مبينا فاستمع لم يزل إعجازه منذ نزل^٢

هذا ما يتعلق بالقصائد المستقلة بذكر معجزات الرسول ﷺ، أما الشعراء الآخرون فتناثر ذكر المعجزات في قصائدهم المدحية ففي قصيدة الشيخ عزيز الحق اثنا عشر بيتا في هذا البيان، ومما ذكر من المعجزات إتيان الشجرة إلى حضرة الرسول والسجدة له، وإظلال الغمام عليه، وحنين جذع النخلة الذي كان يتكى إليه حينما يخطب،

١- مجلة ثقافة الهند دهلي المجلد ٣٧، العدد ١-٢ صفحة ٢٤.

٢- أيضا.

نبويات شعراء العربية لشبه القارة في العصر الحديث

فلما استبدل به المنبر حن وأن، وقد تناول الشاه ولي الله أيضا هذا الموضوع في بائيته المشهورة، وكذا غلام علي أراد بلجرامي وآخرون نسرد بعض الأمثلة من شعرهم: المعجزات اتيان الشجرة إلى حضرة الرسول والسجدة له، وإظلال الغمام عليه، وحنين جذع النخلة الذي كان يتكى إليه حينما يخطب، فلما استبدل به المنبر حن وأن، وقد تناول الشاه ولي الله أيضا هذا الموضوع في بائيته المشهورة، وكذا غلام علي أراد بلجرامي وآخرون نسرد بعض الأمثلة من شعرهم: قال آ زاد في معجزة شق القمر:

وشق بدر الدجى إيماء اصبعه ^١ نعم واصبعه مفتاح أفعال

وقال الشاه ولي الله في حنين الجذع إليه:

وحن له الجذع القديم تحزنا ^٢ فإن فراق الحب أدقى المصائب

لقد منح الله رسوله قدرة البصر من وراء رأسه أيضا كمعجزة له فيقول أحدهم:

كما كان يرى قدام عين ^٣ نبي الله ينظر من ققاء

نكتفي بهذه النماذج علما أن هذا الموضوع وجد ذكرنا مفصلا في شعرهم.

^١ - أنظر ديوانه ٣٤/١.

^٢ - عبدالحى، نزهة الخواطر ٤١٣/٦، ورواية حنين لجذاع في مسند الإمام أحمد ١٠٩/٢.

^٣ - مجلة الرشيد صفحة ٢٨٦.

نبويات شعراء العربية لشبه القارة في العصر الحديث

الموضوع الخامس

المعراج

لغت حديث المعراج أنظار هؤلاء الشعراء فتناولوه مفصلا متحدثين عن مختلف جوانبه ومراحلته التي مر بها الرسول ﷺ ليلة عرج به، اطلعنا على ثلاث قصائد تستقل بذكر المعراج.

أولاهما: قصيدة الشيخ رفيع الدين الدهلوي^١ ومما ذكر من أحداث المعراج:

- ١- تفرده في الاستواء على البراق وتجاوزه عن الأفلاك.
- ٢- مرافقته جبريل عليه السلام له حيث كان آخذا بركاب البراق.
- ٣- إمامته للأنبياء في القدس.
- ٤- لقاءه بعض الأنبياء.
- ٥- توقف جبريل الأمين عند سدرة المنتهى بحجة أن التجاوز عن هذا الحد لا يليق به، ولكم مطلع هذه القصيدة.

يا أحمد المختار يا زين الوري يا خاتما للرسل ما أعلاكا

ثانيتها: هي لامية المعراج للشيخ محمد إدريس الكاندهلوي وتقع في ١٢٦ بيتا يقول في ابتدائها^٢.

١- أيضا صفحة ١٢٨.

نبويات شعراء العربية لشبه القارة في العصر الحديث

إلا ليت شعري هل يقولن مقولي قصيدا بإسراء النبي المبجل
فسبحان من أسرى بليل بعبده إلى المسجد الأقصى إلى عرشه العلي
إن الأمة اختلفت في وقعة المعراج، هل كان بالجسد يقظة أو
بالرؤية، وكذا وقع الاختلاف في رؤيته للرب، فرأى الجمهور أنه كان
في حالة اليقظة، وكذا يرون اثبات الرؤية، فالشيخ يوافقهم حيث
يقول:

رآه رآه دون شك وريبة وما زاغت العينان عن نوره الجلي
وأه بعيني رأسه وفؤاده رواه ابن عباس صحيح مسلسل
وله استنباط بديع من حادث المعراج على ختم نبوته كما
يقول:

وفي ذلك إيماء لختم النبوة وهذا لأن العرش آخر منزل
ومن ضمن ما ذكره الشاعر من أحداث المعراج سرعة سير
البراق.

- تمطى براقا خطوه مد طرفه.
- إمامته الأنبياء، فأنت إمام الأنبياء وخطيبهم.
- اطلعه على المغيبات:

رأى الآية الكبرى وما شاء ربه رأى جنة المأوى وما لم يخيل
دنوه من ذات الباري:

دنى فدننى قاب قوسين أو أدنى وأكرم بالإيحاء سبحان مفصل

نبويات شعراء العربية لشبه القارة في العصر الحديث

تكليم البارى تعالى إياه:

وكلمه المولى ولم يك حاجب ربه

أما ثالثتها: فمن قرض العلامة محمد أنور شاه الكشميري^١، تحدث أيضا عن أهم وقائع المعراج بأسلوب علمي، وهو من العلماء الأجلة، مستندا إلى مرويات الصحابة وقد دعم موقف من يرى إثبات رؤية الرب له أثناء المعراج، أما قوله صلى الله عليه وسلم: "تور أنى أراه" فيؤله قائلا:

رواه أبو ذر بأن قد رأيته وأنى أراه ليس للنفي بل ثنيا

ومنه قوله:

بحثنا مال البحث إثبات رؤية لحضرته صلى الله عليه وسلم، كما يرضى

كما اختاره الحبر ابن عم نبينا وأحمد من بين الأئمة قد قوى

وممن تحدثوا شعرا عن وقعة المعراج، الشيخ ظفر أحمد التهانوي^٢، والنواب صديق الحسن خان القنوجي^٣، وآخرون ونخلص بذا إلى الموضوع القادم وهو:

^١ - اقرأ القصيدة في تذكرة مولانا إدريس لابنه محمد ميان صديقي صفحة ٢٣١.

^٢ - أنظر القصيدة في فيض البارى صفحة ٢١١، وكذا مجلة الرشيد صفحة ٣٩٠.

نبويات شعراء العربية لشبه القارة في العصر الحديث

الموضوع السادس

الغزوات

نجد في المادة الشعرية التي فزنا بالعثور عليها من إنتاج شعراء شبه القارة ذكر أهم الغزوات التي شارك فيها رسولنا ﷺ، من بدر وأحد والأحزاب وحنين وتبوك.

فها هنا الشيخ حبيب الرحمن العثماني يصف غزوة بدر مشيراً إلى بعض الأحداث والآيات التي أظهرها الله للمسلمين، فمنها ما جاء ذكره في القرآن مثل النعاس الذي غشى المجاهدين في ابتداء المعركة أمانة من ربهم، فقال الشاعر:

ويوم بدر نعاس الأمن أدركهم مال الرؤوس به فاستيقنوا الغلبا^١
كان المسلمون في تذبذب من لقاء جيش مكة لعدم استعدادهم لذلك لأنهم كانوا خرجوا لتتبع قافلة قريش التجارية ولكنها فاتتهم وساقهم القدر إلى بدر، حيث جيش المشركين المكون من ألف مقاتل في انتظارهم، وعددهم ٣١٣ فقط، فقلل الله المشركين في أعينهم حتى لا يتراجعوا فيقول الشاعر:

وإذ يقلل جميع المشركين به في عينهم ليظنوا الفتح مقربا

وله كذلك في نزول الملائكة مددا وسكينة للمسلمين:

وأُنزل الله جندا من ملائكة مسومين يحزون الطلي نوبا

^١ - انظر قصيدته في مآثر صديقي في ترجمته لابنه ٢٨/٢.

نبويات شعراء العربية لشبه القارة في العصر الحديث

ومن الشعراء المتحدثين عن الغزوات، نجم الدين كجراتي^١،
وظفر أحمد التهانوي وهو يذكر الغزوات في حين وصفه رجالا حول
الرسول:

فسل عنهم بدرا، حنينا وخذقا وسل أحدا عنهم وأطلال خيرا^٢
وكذا ضياء الدين مدراسي واصفا يوم أحزاب:

وأعطى عليا ذا الفقار بخندق فطاف بأحزاب طغت وهو الفرد^٣

كان المسلمون في ضيق أثناء معركة الأحزاب، محاصرين من كل
جانب، فأرسل الله ريحا مزقت جموع المشركين وصرفتهم من الموقع
فيقول أحدهم:

وأرسل رب الناس ريحا شديدة عليهم وشر البرد والليل مسود
ففرروا فرادى غانمين نفوسهم كأنهم ما كان بينهم عهد
ومنهم الشاه ولي الله، ومن ضمن ما ذكر من الغزوات معركة
تبوك، حيث يقول:

فأوفاه وعد الرعب والنصر عاجلا وأعطى له فتح التبوك ومآرب^٤
وفي الحنين يقول بعضهم:

يوم الحنين إذا ما غر كثرتهم فلم تفدهم وولت تتبع العقبا^٥

^١ - مجلة ثقافة الهند السابق ذكره ثقافة.

^٢ - الرشيد صفحة ٢٩٠.

^٣ - أيضا صفحة ٢٠١.

^٤ - أيضا صفحة ١٩٢.

نبويات شعراء العربية لشبه القارة في العصر الحديث

الموضوع السابع

وهو بيان البؤس الذاتي والاجتماعي في ثوب المدح النبوي

وذكر ما يسعى الرسول ﷺ، لكشف الغمة عن الأمة

في شذائد يوم الحشر.

كانت مناطق شبه القارة قد وقعت في شبكة الاستعمار الإنجليزي وبذلك قست الظروف للمسلمين، وأكل عليهم الدهر وشرب إذ هم الذين نهبت حكومتهم وسلبت شوكتهم فتبدل بهم الزمن وساعات بهم الحياة، ولم يبق لهم من العيش إلا مره، فنرى لدى هؤلاء الشعراء -إذ أن أكثرهم ذاق هذه المرارة- انعكاس هذه المأساة الاجتماعية والذاتية على مدائحهم النبوية ونجدهم يجئون إلى ذات الرسول ﷺ ويتذكرون تلك المواقف التي يكون له فيها دور فعال لإغاثة المقهورين ونجاة المكروبين، وكان الهدف وراء تذكر هذه المواقف التسلي والتسلية وقت هذه الشذائد وتقوية علاقة المسلمين بالرسول والدين، ولفت أنظارهم إلى أن صلتهم إذا توثقت برسولهم يسهل عليهم تحمل المشاق وتهون عليهم أحزانهم فنجد هذا الملح باديا في المدائح التي فرضت أيام الاستعمار، فها هو الشاه ولي الله الدهلوي وكان زمن ظهرت فيه باكورات هذه المأساة الكبرى، وقد لاحظ الشاعر شمل المسلمين قد تشتت وجمعهم قد تفرق فقام بدور موقظ ومصلح ومسئول، ولذا استهل مديحه المشهور بايئته بالبيت التالي:

نبويات شعراء العربية لشبه القارة في العصر الحديث

كان نجوما أومضت في الغياهب عيون الأفاعي أو رؤوس العقاب

فيشير به إلى سواء الحالات وعموم الفوضى وفساد الأرض
وضيقها للمسلمين، ونجده بعد الاستهلال بهذا البيت يتحدث في أبيات
عديدة عن المأساة التي عمت بلاد شبه القارة، وشملت كل طبقات
المجتمع الهندي فيجد في ذكر الرسول ﷺ وتذكر مواقفه التي ينفع
الأمم فيها وجوده وخاصة موقفه، في كربات يوم الحشر، إذ الناس
حيارى يطلبون من يشفع لهم عند ربهم فيذهبون إلى:

إذا ما أتوا نوحا وموسى وآدما وقد هالهم إبحار تلك الصعاب
فما كان يغنى عنهن عند هذه بنى ولم يظفرهم بالمأرب
هناك رسول الله ينجو لربه شفيعا وفتاحا لباب المواهب^١

ونفس هذه المعاملة نلمحها في مدائح الشاه رفيع الدين ابن
الشاه ولي الله الدهلوي إذ يتسلى في بؤسه الذاتي والاجتماعي بذكر
شفاعة رسولنا الكبرى، آملا في خير مستقبله، وكذا صنوه الشاه عبد
العزیز وهو يضع بيان البؤس الاجتماعي في التشبيب الذي تعود
الشعراء على استهلال القصائد الشعرية به، وبعد أن ذكر جور الأعبة
وقسوتهم يلجا إلى:

وإن جرتم على فلي غياث بباب المصطفى خير الأنام
إليه توجهي وله استنادي وفيه مطامعي وبه اعتصامي

^١ - نزهة الخواطر ٤١٣/٦.

^٢ - البيت لحبيب الرحمن الكاشغري مجلة ثقافت العرب، صفحة ٢٤.

نبويات شعراء العربية لشبه القارة في العصر الحديث

وهذا اللجوء وتلك الاستغاثة نجدها في مديح الشيخ إعرار علي في

الآبيات التالية:

رسول الله جنئك مستعيذاً عليك صلاة ربي وسلام
كنيباً مستغيثاً مستعينا علي نفس تضيم ولا تضام
غريب جاء من أرض غريب وليس له رفاق أو ندام
ومسته البلايا والرزايا يقلبه البساط ولا يتام^١

ومن الذين تسلوا في هذه المأساة الكبرى بالمدائح النبوية وخففوا بها شدة آلامهم محاولين تناسي قسوة الزمان، وجفوة الأيام، فضل حق خير أبادي وقد عاش قبل ثورة أهل الهند ضد الاستعمار سنة ١٨٥٧م في رعد من العيش ولما ثارت الهند ساهم الشاعر فيها وأصبح من قادة الثائرين، وقد بلغ من العمر شببته فكتب الله له الابتلاء بمنحة عظيمة بعد فشل الثورة، وصبت عليه مصائب من كل جانب وتبدلت سعادته بالشقاء، حيث نفاه الإنجليز إلى جزر الأندمان ففضى هناك باقي عمره، ولحق بربه، قرض عدة قصائد شعرية حفظتها الأيام عبر فيها عن هذا البؤس والشقاء الذي أصبح هو وقومه عرضة له منها قصيدته المشهورة وتقع ف ثلاث وثلاثين ومائتين بيتاً يقول في مطلعها:

ما ناح أورق في أوراق أشجان إلا وهيج أشجاني وأشجاني^٢

^١ - من بانيته المشهورة.

^٢ - نزهة الخواطر ٢٧٦/٧.

نبويات شعراء العربية لشبه القارة في العصر الحديث

ثم يصف ما جرى أثناء الثورة وما حل بالقائمين بها، ويفصل ذكر أسباب فشلها كما يذكر مختلف أحداثها وأخيرا يتقوى ويتسلى وهو في المنفى، بذكر الرسول ﷺ، على النمط المعروف المسلوك في المدائح النبوية التي قرضت أيام الاستعمار وحذا حذوه عزيز الحق "محدث دهاكا" فله قصيدة دالية سماها "الالتجاء والحنين مع الصلاة والسلام على سيد المرسلين"^١.

كل هؤلاء يشتركون في ذكر الشفاعة الكبرى لسيدنا رسول الله يوم الحشر جاعلين هذا الذكر رمز النجاة والتخلص من الكربات وتسلية الأفئدة، وحاولوا بذلك أن يتناسوا الأيام القاسية وأن يقووا صلة المسلمين برسولهم.

والجدير بالملاحظة في هذا الباب أن أكثر الذين سمحت قرائحهم بقرض النبويات، تشاركوا في استخدام جملة "خذ بيدي" مخاطبين الرسول فمثلا إعزاز الدين على الديوبندي بعد أن عبر عن هذا القلق السائد:

رسول الله خذ بيدي فإنني جريح لا لجرحته التنام^٢

وقال آخر:

غرقت ببحر الذنب ما لي عصمة فخذ بيدي أنت الكريم فخذ بيدي^٣

١- اقرأ القصيدة في الرشيد صفحة ٢٩٠.

٢- راجع العلامة فضل حق خير آبادي، رسالة الدكتوراه للدكتور قمر النساء صفحة ٢٣٤.

٣- مقصود أحمد عمرى المرجع السابق ٤٨٨.

نبويات شعراء العربية لشبه القارة في العصر الحديث

وقال الشاعر:

فخذ بيدي آمن على نفس الردي وأسلم من الشر الشمر وأرشد^١

وقال الشيخ أشرف على التهانوي:

يا شفيع العباد خذ بيدي أنت في الاضطرار معتمدى^٢

فرأيانهم يلجئون إلى هذا المعتمد الذي غطت رحمته العالمين،
وقد كان أصحابه يأوون إليه في شدائد الدنيا، حيث يقول سيدنا علي
بن أبي طالب رضي الله عنه في حديث روى عنه "كنا إذا احمر البأس
نتقى برسول الله ﷺ".^٣

ودائما اتقى بذكره ومدحه الشعراء المسلمون أيام الضعف
والوهن وينادونه باسمه تخففا من أحزانهم وآلامهم، كما قال الشيخ
سعدى "من أشهر شعراء الفارسية" زمن هجومات التتر.

يا محمد كر قيامت را بر آرى سر زخاك سر بر آرى اين قيامت درمیان خلق بین

أما في الهند فيقول أحد الشعراء:

^١ - مجلة ثقافة الهند صفحة ٢٩.

^٢ - لعزیز الحق.

^٣ - هو لفيض الحسن أديب الرشيد صفحة ١٥٨.

نبويات شعراء العربية لشبه القارة في العصر الحديث

فمدحك رقيتى وشفاء رائى إذا ما خضت في لجج السقام^١
ونطوى هذا الموضوع بذكر آخر مثال شعري سلك به صاحبه
هذا النمط ونقف عنده بعض الوقت، وهو الشاه رفيع الدين الدهلوي
وقد كثر لديه ذكر مواقف الرسول ﷺ، التي يسعى فيها لإغاثة
المكرويين نظرا إلى زيادة امتداد الظلام وشدة الكرب، وتوالى المحن
لأن في زمنه اتسع نفور الاستعمار الإنجليزي واشتدت كذلك فرقة
المسلمين فنجد في مدائحه فكرة الاستغاثة بذات الرسول ﷺ، ومناداته
بأقوى صورة ليسهل عليه وعلى قومه تحمل الشدائد فنحلل في هذا
المقام قصيدته التي نظمها في وقعه المعراج^٢، فمنذ بدايتها ينادي
الرسول ﷺ، قائلا:

يا أحمد المختار يا زين الورى يا خاتما للرسل ما أعلكا

ثم يقول في البيت التالي له:

يا كاشف الضراء من مستنجد يا منجيا في الحشر من والاكا

وبعد ذلك يشرع في ذكر مراحل المعراج المختلفة التي مر بها
الرسول ﷺ، فما مناسبة هذا البيت لما بعده، هذا ما يقوله الشارحون
لما يشرحون وقعة المعراج في آخر حياة الرسول بمكة، وقد تضيق
فيها وقاست الحياة بها وبدأ غضب الكفار يشد نظرا إلى وفاة عمه
أبي طالب، وقد كان له جنة فيما غير من الزمن، وكذا توفيت زوجته

^١ - أنظر مهر منير لفيض أحمد فيض صفحة ٣٦٣.

^٢ - روى هذا الحديث الإمام المعز في مستدرک

نبويات شعراء العربية لشبه القارة في العصر الحديث

خديجة رضي الله عنها التي كانت تؤانس وتخفف من حزنه فكبر قلقه بفقدهما واجترأ عليه المشركون بما لم يطيقوا من قبل فقربه ربه إليه حتى كان قاب قوسين أو أدنى، وشرفه بمنحه فرصة رؤيته، حتى يتأسى ويتأسى ويزدد يقينا بأن الله لن يضيعه وهاهنا الشاه رفيع الدين يذكر مأساة قومه في الهند في قصيدته التي موضوعها وقعة المعراج ويفصل بذكر الأحداث المختلفة التي وقعت في أثناء المعراج حتى يعلم مسلمي الهند بأن هذه المصائب طارئة وعليهم التأسى بما تأسى به رسولهم، والتقرب إلى الله الذي يداول الأيام بين الناس، ولو أنهم صبروا سرعان ما تنكشف هذه الغمة، فخلاصة الكلام أن شعراء شبه القارة جعلوا مدائحهم النبوية تعبيراً عن رجائهم في نيل الشفاعة الكبرى كرمز النجاة من الشدائد ووسيلة للتقرب إلى دين ربهم ونبيه وأمل التخلص من الكربات التي لحقتهم بتقلب الأيام.

نبويات شعراء العربية لشبه القارة في العصر الحديث

الموضوع الثامن

هو ختم النبوة

الاهتمام الذي يوليه شعراء الهند وباكستان بهذا الموضوع ليس له نظير قديما وحديثا في أخرى بلاد العالم الإسلامي، وذلك بسبب ظهور المتنبي الكاذب وتكون جمعية قوية بإغراء الاستعمار الإنجليزي وقد خدموه بإصدار فتاوى في حقه وكان هذا الرجل^١ يتحدى العلماء المسلمين ويباريهم، كما أنه ذات مرة قرص قصيدة شعرية سماها الإعجازية وتحدى شعراء المسلمين أن يأتوا بمثلها فنهض جمع منهم يعارضون هذه القصيدة التي كانت ملآن بالأخطاء اللغوية والعروضية فظهرت هناك قصائد عديدة في نقض هذه الإعجازية وجعلها هباء منثورا.

ومن ناحية أخرى تصدى الشعراء العربية من أهل شبه القارة كشأنهم علماء وأفاضل العلوم الدينية للرد على معتقدات وأفكار هذا المتنبي الكذاب وأتباعه، فمن هنا وجد هذا الموضوع اهتماما بارزا منهم ووجد من إنتاجهم الشعري حفا وفيرا ومن الأسماء البارزة في هذا الموضوع اسم الشيخ العلامة أنور شاه الكشميري والشيخ فيض

نبويات شعراء العربية لشبه القارة في العصر الحديث

الحسن الجهلمي^١، وأصغر علي روعي^٢، والشيخ غنيمت حسين المونكيري الذي وضع قصيدته معارضة لإعجازية المرزا المتنبىء الكاذب في ستمائة وثلاث وثمانين بيتاً^٣، ونحن هنا نكتفي بهذه الإشارة العابرة لكوننا عالجنا هذا الموضوع في مقال مستقل تحت عنوان "جهود علماء شبه القارة الشعرية في مقاومة الفتنة القاديانية".

وهناك سردنا النماذج الشعرية مع تحليلها ودراستها وفي نهاية المطاف نلقت أنظار القراء إلى إسهام وفير نبيل في باب المدح النبوي قام به غلام علي آزاد بلجرامي، وهو أغزر شعراء العربية في شبه القارة إنتاجاً وأشدّهم إقبالا على المدح النبوي وأوفرهم إنتاجاً وقد أنشد بعض هذه المدائح في مجالس الحرمين الشريفين فاستحسنت ولقب بحسان الهند، وعدد ما نظم من المدائح النبوية فوق ثلاثين

^١ - راجع لقراءة القصيدة المرجع السابق ١٨٤/٧.

^٢ - هو من مواليد ١٨٣٧ وتوفي عام ١٩٠٨ بلاهور ودفن بقرية قاديان بالهند، وهي مولده ومنشأه وبها تمركز هو وأتباعه ونسبة إليها تعرف فرقته بالقاديانية، ولم يأل علماء شبه القارة جهداً في مقاومة هذه الفرقة وإبطال دعاوي ومعتقدات المنتمين إليها وأخيراً لقيت هذه الجهود المباركة نجاحاً باهراً حيث قبل البرلمان الباكستاني قراراً أضيف إلى الدستور وينص على اعتبارهم كفرة رسمياً عام ١٩٧٤م، وهذا الذي كسر شوكتهم وشخص دأبهم وأخزاهم أمام الناس بعد أن كانوا يخنفون وراء التأويلات لمعتقداتهم السيئة.

^٣ - هذه القصيدة بحروف غير منقوطة عرضها الشاعر علي المتنبىء ليقراها فعجز عن ذلك، أنظرها في آخر كتاب "محاسبت قاديانيت" لخالد شبير أحمد.

نبويات شعراء العربية لشبه القارة في العصر الحديث

قصيدة وقد حاكى بإعدادها بردة البوصيري وسماها بالقصيدة البديعية لأنه وضع في كل بيت من أبياتها لونا من البلاغة الهندية التي اقتبسها من كتب بلاغة الهنادكة وسماها بأسماء عربية^١.

ونهايا تجدر الإشارة إلى أن بعض شعراء شبه القارة تفننوا في باب المديح النبوي فجاجوا بقصائد خليطة بين العربية والفارسية وأبين العربية والأردية، وقد بلغ أحدهم^٢، في هذا التفنن أنه نظم قصيدة مدحية بأربع لغات.

فكل مصراع يشتمل على لغتين، يبدأ بالعربية ويكمله بالفارسية، ثم يبدأ المصراع الثاني بالهندية ويكمله بالأردية، ويستمر في هذا الدأب حتى نهاية القصيدة:

وهكذا نرى أن أهل شبه القارة من الشعراء أعطوا اهتماما بالغا لمدح الرسول ﷺ، بدافع الحب له وفي العرف الأدبي المحلي لا يعتبر الرجل شاعرا إلا إذا مدح الرسول ﷺ، كل هذا دليل على حب الرسول استقر في نفوسهم وتقبل الله منهم هذا الحب.

^١ - كان أستاذا بجامعة بنجاب "باكستان" وقد وجه إليه المتنبئ كعادته السبب والشتم في قصائده الشعرية بسبب جهوده في رد دعاويه الباطلة أنظر هذه الأبيات في ديوانه المطبوع في مجلة المجمع العربي الباكستاني سنة ١٩٩٤م، صفحة ٨١-٩٠.

^٢ - ألف الشيخ كتابا في عد أخطاء قصيدة المتنبئ الكاذب، الإعجازية نثرا وشعرا، توجد هذه القصيدة في ذلك الكتاب الذي طبع باسم "أبطال إعجاز مرزا" وتوجد له نسخة في مكتبة مجلس نظم النور، ملتان، باكستان.

نبويات شعراء العربية لشبه القارة في العصر الحديث

المراجع

- ١ البيئات "مجلة شهرية" بالأردنية تصدر عن جامعة العلوم الإسلامية بنوري تاون بكراتشي - باكستان.
- ٢ تذكرة مولانا إدريس "في ذكر حياة الشيخ محمد إدريس الكاندهلوي" لابنه محمد ميان صديقي المكتبة العثمانية لاهور سنة ١٩٧٧م.
- ٣ ثقافة الهند مجلة علمية أدبية تصدر فصليا من دهلي "الهند" من المجلس الهندي للعلاقات الثقافية.
- ٤ حقائق بخشش ديوان الشيخ أحمد رضا خان البريلوي مطبعة كنج شكر لاهور - باكستان.
- ٥ الرشيد مجلة علمية أدبية وقد أصدرت عددا خاصا بالمدائح النبوية بثلاث لغات في مجلدين سنة ١٤١١هـ من لاهور.
- ٦ السبعة السيارة ديوان غلام علي آزاد بلجرامي المنقسم إلى سبعة أجزاء مطبعة كنز العلوم حيدر آباد "الهند"
- ٧ العلامة فضل حق خير آبادي رسالة الدكتوراه للباحثة قمر النساء مطبوعة من المكتبة القادرية هور سنة ١٩٨٦م.
- ٨ القول السديد مجلة علمية أدبية بالأردنية تصدر شهريا من لاهور باكستان.
- ٩ مآثر صديقي في ذكر حياة النواب صديق حسن خان لابنه.
- ١٠ مقامات إرشادية ومناقب عنائتية لمقصود أحمد عمري، مطبوع مطبعة دين محمدي سنة ١٩٥٩م.

نبويات شعراء العربية لشبه القارة في العصر الحديث

١١ نداء الإسلام مجلة علمية أدبية سياسية كانت تصدر من
إسلام آباد - باكستان.

١٢ نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر لعبد الحي الحسن
من ثمانية أجزاء في تراجم علماء وأدباء شبه القارة، طبعة
أولى سنة ١٩٤٧م مطبعة دائرة المعارف العثمانية حيدر
آباد، الهند.